خمسة مزامير لداود لم تُكتَب في لائحة المزامير

الأب بولس الفغالي *

هذا هو العنوان الذي يسبق خمسة مزامير منحولة: هي لم تدخل في عِداد المزامير التي نقرأها في الكتاب المقدّس. فما هو أصل هذه المزامير وكيف وصلت إلينا؟

١ - أصل هذه المزامير

من المعلوم أنّ النصّ العبريّ عرَف مئة وخمسين مزمورًا نُسِبَت إلى داود في القديم، وشرحها العلماء في العصور الحديثة فوجدوا أنّها تُلِيَت في أوقات مختلفة من تاريخ شعب الله. جعلها التقليد على اسم داود، كما جعل الكتب الحكميّة على اسم سليمان، وكما ربط كلّ ما ورد في كتب الشريعة باسم موسى.

عرف التقليد المسيحيّ المزمور ١٥١ في النصّ اليونانيّ السبعينيّ[١] وفي الهكسبلة[٢] السريانيّة[٣]. ولكنّ أحدًا لم يعرف بوجود خمسة مزامير

(*) أستاذ الكتاب المقدّس في جامعة الروح القدس - الكسليك، ومعهد القدّيس بولس، حريصا.

(١) نتذكّر القارئ أنّ السبعينيّة هي إحدى أهمّ ترجمات الكتاب المقدّس إلى اليونانيّة. سُمّيت كذلك بسبب الأسطورة التي تقول إنّ سبعين مترجمًا عملوا في الترجمة سبعين يومًا.

(٢) الهكسبلة نسخة للكتاب المقدّس في ستّة عواميد قام بها أوريجانس المفسّر الكتابيّ المصريّ الذي عاش في القرن الثالث ب.م. وسار على خطاه السريان واللاتين.

(٣) لا نجد المزمور ١٥١ في الترجمة البسيطة. سنة ١٩٠٨ اكتشف مبوير النصّ=

تُزاد على المئة وخمسين مزمورًا التي نقرأها في الكتاب المقدّس، إلى أن اكتشفها يوسف شمعون السمعانيّ في مخطوط سريانيّ من المكتبة الڤاتيكانيّة[٤]. وانتظرنا قرنًا ونيّفًا لينشر العالم الإنكليزيّ رايت هذه المزامير عن مخطوط وجده في كمبريدج (يعود إلى نهاية القرن السابع عشر) وينقلها إلى الإنكليزيّة[٥]. وتبعه منغانا سنة ١٩٢٧ فاستفاد من مخطوطين جديدين في مكتبة رندل هاريس[٦] ونقل هذه المزامير إلى الإنكليزيّة[٧]. أمّا مارتن نوت الألمانيّ فنشر بطريقة علميّة هذه المزامير وألحقها بترجمة ألمانيّة وحاول أن يعيد كتابة ثلاثة منها في نصّها الأصليّ أي العبرانيّ[٨].

وتساءل النقّاد: من أين جاءت هذه المزامير الخمسة التي لا نقرأها إلّا في السريانيّة، فوجدوا أنّها تعود إلى محيط أسيانيّ[٩]. وصدق

=السريانيّ لهذا المزمور في دير السريان الأرثوذكس في أورشليم في مخطوط يعود إلى سنة ١٤٧٢ وطبعه في مجلّة ألمانيّة: *Zeitschrift für die alttestamentliche Wissenschaft* 1903, p. 65-67.

(٤) *Bibliothecae Apostolicae Vaticanae: Codicum Manuscriptorum catalogus*, Romae 1759, 1,3, p. 385-386.

(٥) W. WRIGHT, *Some Apocryphal Psalms in Syriac*, in Proceding of the Society of Biblical Archaeology, IX (London; 1887), p. 257-266.

(٦) *Rendel Harris Library.*

(٧) *Christian Documents in syriac, arabic and garshuni*, edited and translated with a critical apparatus by A. MINGANA, with introduction by Rendel Harris I (1927) in *Bulletin of the John Ryland's Library*, V, II, 1927, p. 492-493 (avec comme titre: *Unacanonical Psalms*).

يعود المؤلّف إلى مخطوطين: منغانا ٣١ جاء إلى لندن من الكردستان وهو من سنة ١٣٤٠، ومنغانا ٥١ يرجع إلى حوالى ١٥٥٠.

(٨) M. NOTH, «Die fünf syrisch überlieferten apocryphen Psalmen» in *Zeitschrift für die alttestamentliche Wissenschaft*, 1930, p. 1-23

(٩) الأسيانيّون جماعة يهوديّة تعود إلى زمن الحشمونيّين (القرن الثاني ق.م.) مارست شبه حياة رهبانيّة، معتزلة حياة المدينة، ورافضة إقامة صلواتها في هيكل نجّست سلالة كهنوتيّة مغتصبة. إقترح بعض العلماء أن تعود كلمة «أسيانيّ» إلى السريانيّة «حسيرو» أي الطاهر والنقي وعلّلوا ذلك بغياب حرف الحاء عن اليونانيّة. ولكنّي أعتقد أنّ «أسيانيّ» ترجع إلى كلمة «أسا» المستعملة في السريانيّة (معناها شفى وأبرأ) واسم الفاعل هو أسيا كما في العربيّة. راجع: =

حديثهم[١٠] فيما بعد يوم اكتشف العلماء في مغاور قمران القريبة من البحر الميّت بعض المزامير المدوّنة في العبريّة[١١].

٢ – نصّ هذه المزامير السريانيّ

سنة ١٩٧٢ نشر العالِم بارس النصّ السريانيّ لهذه المزامير بطريقة علميّة في إطار نصوص الكتاب المقدّس كما وردت في البسيطة[١٢] واستند إلى المخطوطات التالية:

مخطوط بغداد (كان قبلًا في الموصل) في مكتبة بطريرك الكلدان (رقم ١١١٣). كتبه يد متقنة في القرن الثاني عشر تقريبًا، فصار المخطوط الأساسيّ لنشرة ليدن الأخيرة. يتضمّن هذا المخطوط المزامير الخمسة المنحولة ١٥١–١٥٥، في ترتيب لا نجده في أيّ مخطوط آخر[١٣]. نلاحظ

LUCIUS, *Der Essenismus in seinem Verhältnis zum Judentum*, Strasbourg, = 1881, p. 90, note 1. Voir aussi G. VERMES, «The Etymology of Essenes», dans *Revue de Qumran*, 7 (1960), p. 429.

يعتبر هذا الأخير كلمة «حسيو» وإن وُجدت في الآراميّة وسريانيّة الرها، إلّا أنّها غير مرجودة في لغة فلسطين.

(١٠) M. DELCOR, «Cinq nouveaux psaumes esséniens?» in *Revue de Qumran*, IX (1959), p. 85-102, «Cinq psaumes syriaques esséniens» in *Les Hymnes de Qumran (Hodayot)*, Paris, 1962, p. 229; M. PHILONENKO, «L'origine essénienne des cinq psaumes syriaques de David», in *Semitica*, IX (1959), p. 35-48.

يعتبر فيلونتكو أنّ هذه المزامير (ما عدا المزمور ١٥١) تدلّ على صورة المعلّم الصادق الذي تنتظره جماعة الأسيانيّين.

(١١) J. A. SANDERS, «Two non-canonical psalms in II QPsa», in *Zeitschrift für die alttestamentliche Wissenschaft*, 76 (1964), p. 57-75;
- «The Psalms Scroll of Qumran Cave 11/11 QPsa», in *Discoveries in the Judaean Desert of Jordan*, IV, Oxford, 1965, p. 51-76.

نشير هنا إلى أنّ العلماء اكتشفوا في مغاور قمران مخطوطًا من الرقّ نسخت فيه مزامير قمران على ثمانية عشر صوتًا. هناك ستّة وستّون جزءًا فيها لا أقلّ من ثلاثين مزمورًا تبدأ بهذه الكلمة «أودكه» أي أمدحك، ولهذا سمّي الكتاب «هودايوت» أي المدائح.

(١٢) *Apocryphal Psalms* ed. by W.BAARS in *The Old Testament in Syriac, Peshitta Version*, Part IV, 6, Leiden, 1966.

(١٣) نشير هنا إلى أرقام هذه المزامير في مخطوط بغداد وفي سائر المخطوطات =

في الهامش قراءات مختلفة عن النصّ الأساسيّ سنجدها في سائر المخطوطات، وهذا يدلّ على قدم مخطوط بغداد وعلى عناية الذين قاموا بنسخه.

مخطوط برلين، نجده في مكتبة الدولة الألمانيّة (شرقي ٣١٢٢). تقرأ المزامير في نهاية الكتب النبويّة. يبدو أنّ الناسخ أخذ النصّ عن مخطوط إيليّا الأنباريّ[١٤] ونسخه في القرن الرابع عشر.

أمّا ما تبقّى من مخطوطات، فكلّها أُخذت عن كتاب الدرس[١٥] للمطران إيليّا الأنباريّ: منفانا ٣١ (القرن الرابع عشر) وتنقصه الحركات، ومكتبة كمبريدج (رقم ١٩٩٥) يعود إلى القرن السابع عشر، ومخطوط آخر من برلين (٣١٢٠) مؤرّخ بسنة ١٦٩٩، ومخطوط لندن المؤرّخ بسنة ١٧٣٣، ومخطوط الڤاتيكان رقم ١٨٣ (١٧٠٣) ومخطوط ساخو في برلين رقمه ١٣٢ (سنة ١٨٨٠).

نُشير هنا إلى أنّ أقدم مخطوط للمزمور ١٥١ يعود إلى سنة ٥٩٨/ ٥٩٩. نقرأه في ترجمة سريانيّة لشرح المزامير للقدّيس أثناسيوس الإسكندريّ[١٦]. عرف هذا المزمور التقليدُ السريانيّ[١٧] والملكيّ[١٨]

= بغداد — سائر المخطوطات

١٥١ — الأوّل
١٥٢ — الرابع
١٥٣ — الخامس
١٥٤ — الثاني
١٥٥ — الثالث

(١٤) إيليّا الأنباري أو النصيبيّ. وُلد في نصيبين (؟) في نهاية القرن التاسع ورُسم مطرانًا على الأنبار سنة ٩٢٢. وصلنا من تآليفه «رأس العلوم» أو كتاب المئويّات وهو مقالة في اللاهوت. راجع ألبير أبونا، أدب اللغة الآراميّة، بيروت، ١٩٧٠ ص ٤٠٤.
R. DUVAL, *Anciennes littératures chrétiennes*, II, *La littérature syriaque*, Paris 1907, p. 393.

(١٥) في السريانيّة «كتوبو ددوروشو».

(١٦) المتحف البريطانيّ بلندن رقم ١٤٥٦٨. هذا النصّ القديم يمكن أن يدلّنا على أنّ المزمور ١٥١ لا يعود إلى الهكسلة وإن وجدت نصوصه في الهكسلة مشابهة بعض الشيء لما نقرأ في هذا المخطوط.

(١٧) المتحف البريطانيّ ١٧١١١، ١٧١٢٥، بطريركيّة الكلدان في بغداد ٢١١، روما مكتبة أنجليكا ٢٦ والڤاتيكان في أساسها البرجياني رقم ٢٥، والڤاتيكان السريانيّ ٢٦١.

(١٨) ليتفراد. إنتقل إلى نيويورك في المكتبة العامّة ١٩، المتحف البريطانيّ ١٤٦٧٤ (نجده أيضًا في دير السريان بوادي النطرون رقم ٢٥)، روما الأساس البرجيانيّ ٢٣.

والمارونيّ[١٩] ونقلته بعض الكتب الليتورجيّة إلى العربيّة[٢٠].

٣ - كيف تبدو هذه المزامير في نسختها السريانيّة

قبل المزامير نقرأ عبارة: وأيضًا مزامير خمسة لداود لم تُكتب في صفّ المزامير. في أقدم مخطوط للمزمور ١٥١ نجد مقدّمة صغيرة هذه ترجمتها: هذا المزمور المئة وواحد وخمسون كتبه داود وهو خارج العدد (الرسميّ). أمّا في مخطوط بغداد فتصادفنا مقدّمة طويلة: المزمور ١٥١ لا وجود له في العبريّة. لا نجد السبب الذي لأجله كتب هذا المزمور بحسب كلام أوسابيوس. أمّا أثناسيوس العالِم فيقول: هي كلمات الافتخار بالربّ. فإن طلب منك، وأنت صغير أن تقوم بخدمة لإخوتك، فلا تتكبّر عليهم. أمّا والله اختارك، فإن كنت لا تعطي المجدلة (فالويل لك). والطوباويّ مار ثاودورس المفسِّر لم يكتب السبب. وهذه صورته في النسخات السريانيّة.

هذا في البداية، أمّا في النهاية، فإليك ما يقول مخطوط بغداد: تمّ بعون ربّنا كتاب مزامير الطوباويّ داود النبيّ والملك مع خمسة مزامير لم تحصَ في (النسخة) اليونانيّة ولا في (النسخة) العبريّة. أمّا وقد وُجدت في السريانيّة فنحن كتبناها لمَن طلبها[٢١].

ثمّ إنّنا نجد قبل كلّ مزمور مقدّمة صغيرة على مثال ما نقرأ في كثير من المزامير القانونيّة[٢٢]. هذه المقترحات جاءت متأخّرة. وحين زيدت على نصّ المزمور، ما عاد أحد يفهم التلميح إلى المحيط الذي خرجت

---

(١٩) ميلانو، المكتبة الأمبروزيّة ٣١. لا نجد نصّ المزمور ١٥١ في الترجمة البسيطة قبل القرن العاشر.

(٢٠) الصهيونيّ.

(٢١) راجع حاشية ١٦.

(٢٢) على سبيل المثال: مز ٥١؛ ٥٢؛ ٥٣؛ ٥٤ نقرأ في مقدّمة هذا الأخير: لإمام المغنّين على ذوات الأوتار. قصيدة لداود عندما أتى الزيفيّون وقالوا لشاول: أليس داود مختبئًا عندنا؟ أمّا في السريانيّة فنجد عنوانًا آخر: لداود. إذ أرسل يوآب وجيشه ليحاربوا أبشالوم.

منه. ولكن سيأتي وقت يكتشف فيه العلماء الجوّ الأسيانيّ الذي دوّنت فيه هذه المزامير المنحولة ووُضعت لها المقدّمات المناسبة.

٤ – المزمور ١٥١

والآن نعود إلى نصّ المزامير المنحولة الخمسة. المزمور الأوّل (١٥١) عنونه الناشر: فعل شكر لداود. وأسبقه بمقدّمة صغيرة يقول فيها: (مزمور) لداود إذ قاتل جليات وحده.

١ كنت صغيرًا بين إخوتي
وفتى في بيت أبي.
إذ كنت أرعى قطيع أبي
وجدت أسدًا ودبًّا
فقتلتهما ومزّقتهما تمزيقًا[٢٣].

٢ يداي صنعتا آلة
وأصابعي ركّبت كنارة.

---

(٢٣) هذه العبارة غير موجودة في مخطوط بغداد، ولكنّنا نقرأها في سائر المخطوطات. تُرجمت العبارة في الماضي: صادفت أسدًا وذئبًا. ولكن ما نقرأه في ١ صم ١٧: ٣٤-٣٦ جعلنا نقرأ: صادفت أسدًا ودبًّا، والكلمة السريانيّة (دابر) تحتمل التفسيرين: ذئب ودبّ. نشير هنا إلى ترجمة الصهيونيّ في كتاب المزامير ص ٤٣٩-٤٤٠.

Liber psalmorum Davidis regis et prophetæ ex Arabico Idiomate in Latinum translatus a Gabriele Sionita Edeniensi & Victorio Scialac Accurensi Maronitis, e Monte Libano, Romæ, 1614.

في الهامش باللاتينيّة: لا نجد هذا المزمور لا في العبرانيّة ولا في النصّ اللاتينيّ الذي تستعمله الكنيسة الرومانيّة.

(hic psalm non est in hebr neq in latino codice quo utitur eccl romana).

وإليك النصّ كما ورد عند الصهيونيّ. (١) صغيرًا كنت في إخوتي حدثًا بيت أبي راعيًا غنمه. (٢) يداي صنعتا الأرغن أصابعي عملت القيثار. (٣) من الآن اختارني الربّ إلاهي (كذا) واستجاب لي. (٤) أرسل ملاكه وأخذني من غنم أبي ومسحني بدهن مسحه. (٥) إخوتي حسان وأكبر منّي الربّ لم يسرّ بهم. (٦) خرجت متلقّيًا للفلسطينيّ الغريب الجبّار قدما عليّ بأوثانه. (٧) فرميته بثلثة أحجار في جبهته بقوّة الربّ. (٨) فصرعته واستللت سيفه وقطعت به رأسه ونزعت العار عن بني إسرائيل.

٣ من يدلّني على ربّي؟
هو الربّ لي. هو الله لي.
٤ أرسل ملاكه وانتزعني (وأخذني) من بين نعاج أبي ومسحني بزيت المسحة.
٥ إخوتي حسان المنظر وطوال القامة، ولكنّ الربّ لم يرضَ بهم.
٦ خرجت للقاء الفلسطيّ فلعنني بأوثانه،
٧ فاستللت سيفه وقطعت رأسه، واقتلعت (انتزعت) العار من بني إسرائيل.

المزمور ١٥١ هو مزمور مسيحانيّ، بمعنى أنّه يوجّه أنظارنا إلى الملك المسيح الآتي، وهو يروي كيف دعا الله داود ومسحه بالزيت المقدّس. هذا المزمور معروف من زمان بعيد وقد أوردته التوراة السبعينيّة والهكسبلة السريانيّة. ما نلاحظه في السبعينيّة والكودكس الأمبروزيانيّ والهكسبلة السريانيّة ومخطوط الدير السريانيّ في أورشليم (رقم ١٤٧٢) هو غياب الآية: صادفت أسدًا وذئبًا فقتلتهما ومزّقتهما تمزيقًا. هذه العبارة التي أقحمت في هذا المزمور نقلًا عن المزمور ١٥٢، ربطت هذا المزمور بحياة داود وأرفقته بالمزامير الأربعة الباقية المولودة في محيط أسيانيّ. أمّا المزمور ١٥١ فهو شاهد على الجماعة اليهوديّة العائشة في الإسكندريّة بمصر.

٥ - المزمور ١٥٢

هذا المزمور يقابل المزمور الرابع في كلّ المخطوطات. أمّا في مخطوط بغداد فنقرأ: المزمور ١٥٢. ليس من أسباب قيل لأجلها هذا المزمور لا في نظر أوسابيوس ولا أثناسيوس ولا مار ثاودورس المفسّر. ولكن دوّنت هذه المزامير الأربعة على الوجه التالي.

بعد هذه التوطئة، تأتي مقدّمة المزمور: قاله داود يوم قاتل الأسد والدبّ اللذين أرادا أن يأخذا نعاجًا من قطيعه.

١ إلهي إلهي[٢٤]، تعال إلى معونتي، ساعدني وخلّصني، ونجّ نفسي من القاتلين.

---

(٢٤) نجد هنا تلميحًا إلى ما نقرأ في المزمور ٢٢ ونحن لا نقول: الله، الله، بل إلهي=

٢ هل أنزل إلى الجحيم في فم الأسد؟
أم يظفر بي الأسد فلا أكون؟[٢٥]
٣ لم يكفهما أنّهما كمّنا لغنم أبي، ومزّقا نعجة من القطيع[٢٦] (الحظيرة).
هما يطلبان نفسي ليهلكانها!
٤ أشفق أيّها الربّ على مَن اخترت، ونجِّ مَن طهّرت (نقيّك) من الهاوية[٢٧].
ليثبت على تسابيحك كلّ أوقات حياته ويسبِّح اسمك العظيم[٢٨].
٥ فأنت خلّصته (عبدك) من الموت[٢٩] المفسد[٣٠]، وأحدتني من

=إلهي. راجع متى ٢٧: ٤٦ حيث ياء ضمير المتكلّم حُذفت في البسيطة بعد أن انقطع الناس من لفظها.

(٢٥) أو أرسلت جوابًا إلى الذين أرادوا أن يتلعوني وتوبيخًا للذين يهجمون عليّ. الآية الثانية تلمّح إلى المزمور ١٦ فتطبع المزمور ١٥٢ بطابع داوديّ. صحّح المترجمون «بليل» (راجع في العربيّة ظفر) إلى «بلع» فترجموا: هل يتلعني الدبّ (بدل الأسد)، فرأوا أنّ هذا الكلام ينطبق على المعلّم الصادق مستيرين بما قرأوا في تفسير سفر حبقوق: «تفسيرُ هذا يدلّ على الكاهن الكافر الذي اضطهد المعلّم الصادق فابتلعه بحدّة غضبه في بيت منفاه». راجع: تفسير حبقوق الذي وُجد في المغارة الأولى بقمران ١١: ٤-٥. رج أيضًا «المدائح» ١١: ٨-٩ حيث نقرأ: «فأرسلت جوابًا إلى الذين أرادوا أن يتلعوني وتوبيخًا للذين يهجمون عليّ».

(٢٦) القطيع صورة عن الجماعة (راجع إنجيل يوحنّا الفصل العاشر). ولكن المقصود هنا لا الراعي الصالح الذي يضحّي بنفسه، بل حماس الكافرين الذين يهجمون على الراعي رئيس الجماعة.

(٢٧) حرفيًّا. أو: من الفساد. ولكنّنا أخذنا كلمة الهاوية تمشّيًا مع ما نقرأ في المزامير: ١٦: ١٠؛ ٤٩: ١٠؛ ١٠٣: ٤. يبدو أنّ المزمور ١٥٢ لم يؤلّفه المعلّم الصادق، ولكن أحد أتباعه الذي اكتشف في هذا المزمور الداوديّ شخص معلّمه. لا شكّ في أنّ الرابانيّين (أو المعلّمين اليهود) لم يهتمّوا للمزمور ١٦: ١٠، ولكن هذه الآية هي جزء رئيسيّ من البرهان الكتابيّ في خطبة بطرس يوم العنصرة (أعمال الرسل ٢: ٢٥-٣١) وفي خطبة بولس في أنطاكية بسيديّة (أعمال الرسل ١٣: ٣٤-٣٧). إذًا هي تدلّ على المسيح المنتظر.

(٢٨) إسم عظمتك كلّ أوقات حياته. حرفيًّا كلّ أوقاته.

(٢٩) أو الأسد كما في سائر المخطوطات.

(٣٠) أو الدبّ المؤذي.

الأسر[٣١] من فم الوحوش[٣٢].
٦ أسرع يا سيّدي[٣٣]. أرسل من أمامك (لدنك، عندك) منقذًا، وانتشلني من الهوّة التي تفغر فاها وتريد أن تحبسني في أعماقها.

هذا المزمور هو شكوى فرديّة فيه يقابل المرتّل أعداءه بوحوش مفترسة. ولكن يجب أن نفسّره تفسيرًا رمزيًّا فلا نكتفي بالقول إنّه يرسم أمامنا مشهدًا من حياة الرعاة: لمّا كان داود فتى يرعى قطيع والده هاجمه أسد ودبّ. فالمرتّل يطلب من الله أن ينجّي نفسه من القاتلين، كما يحدّثنا عن أسر الراعي داود وسط الوحوش المفترسة. نفهم الأسر هنا بالمعنى الرمزيّ. كان المرتّل أسيرًا بين أعدائه وكان مكلّفًا بجماعة دينيّة هي قطيع أبيه الذي هاجمه الأعداء وأرادوا أن ينتزعوا بعضًا منهم. وما اكتفوا بالهجوم على القطيع وحده، بل طلبوا حياة داود. هذا ما نقرأه في المدائح (٢: ٢١): حفظتني من فخاخ الهاوية، لأنّ أشدّاء طلبوا حياتي.

٦ – المزمور ١٥٣

هذا المزمور يقابل المزمور الخامس في مأثر المخطوطات. وهذه مقدّمته: قاله داود حين شكر الله الذي خلّصه من الأسد والدبّ، وقتل الاثنين بيديه.
١ هلّلوا للربّ يا كلّ الشعوب، سبّحوه وباركوا اسمه.
٢ لأنّه نجّى نفس صفيّه من أيدي الموت، وأنقذ تقيّه من الهاوية.
٣ خلّصني من أشراك الجحيم وأخرج نفسي من الهوّة التي لا تُسبر أعماقها.

---

(٣١) أو من أيادي، أظافر.
(٣٢) الآية ٥ تذكّرنا بنصّ نقرأه في مدائح قمران حيث يشبّه المعلّمُ الصادق أعداءه بأسود خلّصه منها الربّ (٥: ٦-٧): جعلت نفسي للديتونة وسط أسود هيّأتها لأبناء الهاوية. أو في ٥: ١٣: نجّيت نفس المسكين في جبّ الأسود الذين سنّوا لسانهم كالسيف.
(٣٣) في الأصل «أدونيهي». والصحيح «أدوني» التي هي نقل عن العبريّة «أدوني» وتعني يا سيّدي. راجع مخطوط برلين ومنغانا ٣١ وكمبريدج.

٤ فلولا قليل، لو لم يأتِ (يخرج) خلاصي من عنده، لصرت قطعتين
لوحشين.
٥ ولكنّه أرسل ملاكه، فسدَّ عنّي الأفواه الفاغرة، وأنقذ حياتي من
الهاوية.
٦ لتسبّحه نفسي، ولتعظّمه على كلّ نعمه التي صنعها ويصنعها لي.

هذا المزمور هو كسابقه شكوى فرديّة يطلقها المؤمن، وهو يتجاوب مع المقدّمة. نُقل عن العبريّة فجاءت كلماته قريبة ممّا نقرأ في مدائح قمران. فأشراك الجحيم (أو مثوى الموتى أكانوا أشرارًا أو أخيارًا)، تذكّرنا بالعبارة العبريّة «موقشي شحت» التي نقرأها في العمود الثاني السطر ٢١. وما نقرأ في الآية الخامسة من هذا المزمور، نجد صداه في مدائح قمران ٥: ٩-١١: «سددت أفواه الأشبال التي أسنانها كسيف... نواياهم أن يمزّقوا. كمنوا، ولكنّهم لم يفتحوا عليّ أفواههم، لأنّك أنت يا إلهي سترتني من وجه بني آدم». ونشير أخيرًا إلى كلمة «صفيّه» التي نجد فيها تلميحًا إلى المزمور ١٦: ١٠: «لا تترك في الجحيم نفسي، ولا تدع صفيّك يرى الهاوية». هذا المزمور الذي يحمل معنى مسيحانيًّا، قد طبع بطابعه المزمور ١٥٣.

٧ - المزمور ١٥٤

ما زلنا نقرأ النصّ السريانيّ كما ورد في نصّ بطريركيّة الكلدان في بغداد، ونتبع تسلسل مزاميره. أمّا المزمور ١٥٤ فهو يقابل المزمور الثاني في سائر المخطوطات، وهذه مقدّمته: صلاة حزقيا حين أحاط به الأشوريّون[٣٤] فسأل الله أن ينجّيه منهم. كما أخذ الشعبُ من كورش أمرًا ليرجعوا إلى بلادهم، وسألوا الله أن يتمّم مبتغاهم.
١ سبّحوا الله بصوت عالٍ، أسمعوا تمجيده في الجماعة الكبيرة[٣٥].

(٣٤) في سائر المخطوطات: الأعداء.
(٣٥) حرفيًّا: في جماعة الكثيرين.

٢ بين المستقيمين الكثيرين سبّحوه وامدحوه[٣٦]، ومع الأمناء أخبروا
بتسبيحه.
٣ شاركوا الأخيار والودعاء في تسبيح العليّ.
٤ إجتمعوا معًا وعرّفوا بقدرته، ولا تضجروا من إظهار مجده للبسطاء[٣٧].
٥ ولكي يعزف محبّو الربّ، أعطيتْ الحكمة.
٦ ولكي تُروى أعماله، عرفتْ الحكمة لدى البشر.
٧ ليعرّفوا البسطاء بقوّته، وليُفهموا مجده للناقصي اللب،
٨ البعيدين عن مدخله، المفصولين[٣٨] عن بابه.
٩ لأنّ ربّ يعقوب عليّ هو، وعظمته فوق كلّ صنائعه.
١٠ والإنسان الذي يسبّح العليّ يرضى عنه العليّ كما لو قرّب السميذ،
١١ كما لو قرّب تيوسًا وعجولًا، كما لو صبّ دهنًا على المذبح بوقائد
عديدة، ومثل رائحة الأطياب من يد الصديقين.
١٢ من أبواب الصدّيقين يُسمع صوته[٣٩]، ومن قول الأبرار نصيحته.
١٣ عندما يأكلون يشبعون بالحقّ وعندما يشربون على مائدتهم معًا.
١٤ أحاديثهم[٤٠] في نشر شريعة العليّ، وكلامهم للتعريف بقوّته.
١٥ ما أبعد كلامه عن الأشرار ومعرفته عن كلّ الأئمة.
١٦ ها عين الربّ على أهل الخير لترحمهم.
١٧ وعلى مسبّحيه يُكثر المراحم، ومن الزمن الشرّير يُنقذ نفوسهم[٤١].

---

(٣٦) حرفيًا: سبّحوا حمله.

(٣٧) «شبري» أي الأولاد والبسطاء. والبسطاء هنا يقابلون الأقوياء والأغنياء وأصحاب المعرفة والحكمة. أمّا الله فيلفت إلى المساكين ويرفعهم.

(٣٨) راجع كلمة بذر التي تعني فرّق وفصل.

(٣٩) نقرأ في بعض المخطوطات «ترحيك» بدل «ترعي» فتصبح الترجمة: من أبوابك البارّة. ولكنّ النصّ العبريّ يدفعنا إلى المحافظة على الترجمة التي قدّمنا. راجع النصّ في: J.. SANDERS, *op.cit*, p. 64

(٤٠) إقترح المترجمون في الغرب تصحيح «شوعتيهون» التي تعني أحاديثهم، بكلمة «شكينتهون» التي تعني مسكنهم. ولكن لا نرى ضرورة لهذا التغيير. M. Philonenko, *op. cit*, p. 38; *Hymnes de Qumran*, p. 302.

(٤١) حرفيًا: من زمن الشرّ ينقذ نفسهم.

١٨ تبارك الربّ الذي خلّص البؤساء من يد الأغراب وأنقذ الودعاء من يد الأشرار.
١٩ الذي يقيم قرنًا[٤٢] من يعقوب وقاضي الأمم من إسرائيل.
٢٠ الذي يديم مسكنه في صهيون وبهيّته في أورشليم إلى أبد الآبدين.

عنوان المزمور يربطنا بحدثين من تاريخ شعب الله. الحدث الأوّل: حصار أورشليم على يد سنحاريب الملك سنة ٧٠١ ق.م. الربّ سينجّي مدينته فيعود الأشوريّون إلى بلادهم. الحدث الثاني: نداء كورش برجوع جميع المسبيّين من الشرق، كلٌّ إلى بلاده. كان ذلك سنة ٥٣٩، فعاد بعض اليهود إلى أورشليم، ورمّموا مذبح المحرقات بانتظار أن يبنوا الهيكل ويرمّموا أسوار أورشليم[٤٣].

أمّا جسم المزمور وصوره ومفرداته، فتنقلنا إلى عالم الأسيانيّين، وهذا واضح انطلاقًا من الكلمات التي تدلّ على جماعة قمران. منذ البداية نقرأ: الجماعة الكبيرة أو جماعة الكثيرين، وهي نقل عن عبارة عبريّة (بعده هريبيم) تشير إلى الأسيانيّين. وفي الآية الثانية تعود كلمة الكثيرين التي تشير إلى أعضاء هذا الشيعة العائشة في برّيّة يهوذا. وتتوافد التسميات: المستقيمون، الأمناء[٤٤] والودعاء[٤٥] والبسطاء[٤٦]

---

(٤٢) القرن يرمز إلى القوّة والجبروت. أمّا هنا فالكلمة تدلّ على شخص المسيح، وستكون إحدى وظائفه أن يكون لا قاضيًا في بني إسرائيل وحسب بل في الأمم الوثنيّة. هذا يعني أنّه سيملك على العالم.
(٤٣) سفر عزرا ٣: ١-١٣؛ سفر نحميا ٢: ١١-٣: ١٠؛ حجاي ١: ١-١٥.
(٤٤) راجع ابن سيراخ ١: ١٥ كما في البسيطة. الكلمة السريانيّة «شريري» تقابل العبريّة «انشيه امت» أي أناس الأمانة. راجع تفسير حبقوق في المغارة الأولى ٧: ١٠؛ «والمدائح» ١٤: ٢.
(٤٥) «تميمي» أي الودعاء. يرجع بعضهم الكلمة إلى العبريّة «تميمين» التي تدلّ على التمام والكمال (راجع فعل تمّ في العبريّة). فأبناء قمران كانوا يسمّون نفوسهم «الكمّال». راجع كتاب القوانين ٣: ٣.
(٤٦) البسطاء أي «شيري» في السريانيّة تقابل «فتيم» في العبريّة. راجع كلمة فتى في العبريّة. كان الأسيانيّون يسمّون نفوسهم «البسطاء». راجع «تفسير حبقوق» ١٢: ٤؛ «المدائح» ٢: ٩؛ ١٥: ٤.

والبؤساء[٤٧]. أبناء قمران يحبّون النصيحة والتعليم (آ ١٢) وهم يشتركون معًا في وليمة ليتورجيّة يفصلون فيها الخبز عن الخمر[٤٨]. يقدّمون ذبائح ومحرقات ووقائد شأنهم شأن سائر اليهود. ولكنّهم يعتبرون أنّ نشيد الحمد يساوي كلّ الذبائح إن لم يتفوّق عليها. فقوانين الجماعة (٩: ٤-٥) تقول: «نستطيع أن نكفّر عن التمرّد الخاطئ وعن ذنب الكفر ونحصل على النعمة خارجًا عن لحم المحرقات وشحم الذبائح».

وينتهي المزمور في انطلاقة رجاء مسيحانيّة. فالقرن يطلع من يعقوب، وقاضي الشعوب ينهض من بني إسرائيل. نتذكّر هنا المزمور ١٣٢: ١٧ حيث نقرأ: «أنبتُ لداود قرنًا وأعدّ لمسيحي سراجًا». أقيم لداود نسلًا وأحافظ على دوره كملك. أخذته ومسحته بالزيت المقدّس.

٨- المزمور ١٥٥

إنّ المزمور ١٥٥ الذي يقابل المزمور الثالث في سائر المخطوطات، هو فعل شكر شخصيّ ترافقه شكوى: المؤمن متّهم وهو بريء. لهذا يرفع صلاته إلى الربّ بعد أن حصل على عون الربّ وحصل على نعمة الشفاء. القسم الأوّل (١-٧) يقدّم لنا صراخ رجل في ضيق. والقسم الثاني (٨-١٤) يرينا ذلك الرجل واقفًا أمام الربّ، طالبًا أن تخفّ حدّة العدالة وأن ينقلب ألمه خبرة في معرفة شريعة الله. في القسم الثالث (١٥-٢١) يُعلن المرتّل أنّه إن نجا فسيُعلن طرق الربّ ويحدّث بأعماله أمام الكثيرين. أجل بعد أن صرخ فاسترعى انتباه الربّ وطلب أن يطهّر من آثامه ولا يدخل في

---

(٤٧) البؤساء. أو «بيشي» في السريانيّة تقابل «أبيونيم» في العبريّة. هو اسم أبناء جماعة قمران. راجع «تفسير حبقوق» ١٢: ٣، ٦، ١٠؛ تفسير المزامير ٣: ١٠؛ «المدائح» ١١: ٩، ١٣؛ ١٣: ١٤. راجع أيضًا «مزامير سليمان» ١٠: ٦؛ ١٥: ١.

(٤٨) راجع «كتاب القوانين» ٦: ٣-٥.

A. DUPONT-SOMMER, *Nouveaux aperçus sur les manuscrits de la Mer Morte*, Paris, 1953 p. 132, K.G. KUHN, «The Lord's Supper and the communal Meal at Qumran», *in The Scrolls and the New Testament*, ed. by K. Stendahl, London, 1958, p. 44.

تجربة، حوّل شكواه إلى نداء من أجل المغفرة والرحمة.

وبعد، هذه هي مقدّمة المزمور: صلاة حزقيا حين أحاط به الأشوريّون فسأل الله أن ينجّيه منهم[٤٩]. وهذا هو نصّ المزمور:

١ أيّها الربّ إليك أصرخ، أنصت إليّ.
٢ بسطت[٥٠] يديّ نحو ديارك المقدّسة.
٣ أمِل أذنك وهب لي ما أسأل،
٤ ولا ترفض لي طلبتي،
٥ أطلبْ[٥١] نفسي ولا تخربها،
٦ ولا تعرّها أمام الأشرار.
٧ يا ديّان الحقّ، ردَّ عنّي الذين يتجاوزون الشرّ.
٨ أيّها الربّ لا تحكم عليّ بحسب خطاياي، لأنّه لا يبرّ أمامك كلّ حيّ.
٩ أفهمْني أيّها الربّ شريعتك، وعلّمني أحكامك[٥٢]،
١٠ فيسمع الكثيرون بصنائعك ويمدح الشعوب وقارك.
١١ أذكرني ولا تنسَني، ولا تدخلني بين الذين يقسون عليّ.
١٢ أجز عنّي خطايا صباي، ولا تذكر لي تمرّدي.
١٣ نقّني أيّها الربّ من البرص السيّئ فلا يعد إليّ من بعد.

---

(٤٩) هذه مقدّمة مخطوط بغداد. أمّا في سائر المخطوطات فنقرأ المقدّمة التالية: حين أخذ الشعب أمرًا من كورش بأن يعودوا إلى أرضهم. نلاحظ هنا أنّ عنوان المزمور ١٥٤ جزّئ إلى اثنين، فأخذ مخطوط بغداد الجزء الأوّل، وسائر المخطوطات الجزء الثاني: هذا يؤكّد قول النقّاد أنّ المقدّمات وُضعت فيما بعد فلم تعد لها علاقة خاصّة بالمزمور.

(٥٠) في سائر المخطوطات (وفي هامش مخطوط بغداد نقرأ) «أريت» أي رُفعت. أمّا في النصّ العبرانيّ فنجد «فرشت» أي بسطت كما في العبريّة.

(٥١) في سائر المخطوطات وفي هامش مخطوط بغداد نقرأ «بنيه» أي ابن. في النصّ العبرانيّ نجد «بنا» أي ابن.

(٥٢) يبحث المرتّل عن تفسير جديد للشريعة يفتح طريق الخلاص للأمم الوثنيّة. تلك كانت رسالة المعلّم الصادق. فهو يعلن في «المدائح» (٦: ١٠-١٢): «خلقتني لأتمّم الشريعة ولأعلّم الناس نصيحتك بفمي... فتعرف كلّ الأمم حقيقتك وجميع الشعوب مجدك».

١٤ إجعل أصوله يابسة فلا تنبت أوراقه فيّ.
١٥ منيع وعظيم أنت يا ربّ، لهذا تستجيب سؤالي أمامك.
١٦ إلى مَن أرفع شكواي، فيهبني (الخلاص) وماذا تزيدني قوّة البشر؟
١٧ من عندك أيّها الربّ اتكالي. دعوت الربّ فأجابني وشفى كسر قلبي.
١٨ رقدت ونمت وحلمت واستيقظت،
١٩ والربّ عضدني. أشكر[٥٣] الربّ لأنّه نجّاني.
٢٠ الآن أشاهد خزيهم. رجوتك فلا أخزى. هب المجد لك إلى الأبد وإلى أبد الآبدين.
٢١ خلّص إسرائيل صفيّك وبيت يعقوب الذي اخترته[٥٤].

ويتهي النصّ بالخاتمة: كمُل بمعونة ربّنا كتابُ المزامير للطوباويّ داود النبيّ والملك. مع خمسة مزامير ليست في اللائحة اليونانيّة ولا في اللائحة العبريّة. ولكنّها وُجدت، كما يقولون، في اللغة السريانيّة فكتبناها لمَن يطلبها.

خاتمة

تلك هي المزامير الخمسة التي وجدها أوّل مَن وجدها العلّامة يوسف السمعانيّ سنة ١٧٥٩ في مخطوط سريانيّ في المكتبة الڤاتيكانيّة. وذاك هو ارتباطها بعالم الآسيانيّين العائشين في مغاور قمران. أمّا موقعها فنجده بين المزامير القانونيّة كما نقرأها في الكتاب المقدّس، وبين عدد من المزامير عرفها العالم اليهوديّ المتأخّر فوردت في كتب الصلاة لدى قمران كما في مزامير سليمان التي دوّنت بعد سقوط أورشليم سنة ٦٣ق.م. على يد بومبيوس الرومانيّ، فارتبطت بعالم الفرّيسيّين.

---

(٥٣) الكلمة السريانيّة تعني أقبل.

(٥٤) A. HURVITZ, «Observations on the language of the third Apocryphal Psalm from Qumran», in *Revue de Qumrân*, V (1965), p. 225-232.

صدر حديثًا عن دار المشرق